محمد الغزال رفيق الكتاب و صديق الكبار .

من الصعب جدا أن تكسب ودّ الجميع و في ذات الوقت لا تتنازل عن قناعاتك و مواقفك هذا ما امتاز به الصديق الأديب الراحل الأستاذ محمد الغزال .

صوته المدوي و الذي يُمسرِح به أبيات أي قصيدة يلقيها هو أول ما جذبني له (كنت وقتها في حدود الخامسة عشر من عمري) فإضافة لمحفوظاته المميزة فقد كان جاذبا لي من أول ما كنت ألمحه في جلسات أصدقائه المقرّبين (شلّة المطاليق) كما يعرفون بأنفسهم و حيث جمعت شبانا مطاليق فيهم رجال أعمال و كفاءات جلهم من الأقارب و المعارف كان أبو عبدالله ناظمة عقد بين هؤلاء ، يصيخ الجميع سمعا له حين يشرع في إلقاء مقطوعة شعرية أو حكاية تراثية ، لشدة براعته في القبض على ملكات جلب الانتباه ، من استطلاع للحضور و مستويات أعمارهم و مشاربهم الأدبية و اهتماماتهم فيستطيع أن ينفذ من خلالها ، و يبرع في كسب ود الجميع و يثير إعجابهم ، لذا يرى الكثيرون أنه جمع صداقات منوعة و متناقضة ابتداء من العلامة الشيخ صالح السلطان رمز التقليدية إلى آخر شاب حداثي .

كان ابو عبدالله يقول دايما (إبدأ من فوق) فإذا أردت أن تشرب ماء اشرب من الجوجب (النبع) ، لذا مثلا كان في زياراته خارج الوطن يتبع هذا الأسلوب فكان يزور الشخصيات الدينية و الأدبية و الثقافية الرسمية و الشعبية و كان رائده الكتاب و المعلومة و الأدب .
فمثلا إذا ذهب للنجف الأشرف يزور المراجع كالسيد الخوئي رحمه الله و الشخصيات المهمة كالشيخ شريف كاشف الغطاء و الشيخ باقر شريف القرشي و يتباسط معهم فيشرعون له أبواب مكتباتهم .

مع الرواية الشفوية :

و مما ذكر لي أنه في حديث له مع علامة بغداد الدكتور حسين علي محفوظ ، فكان يوصي ابا عبدالله فيقول له :
(سياق الموضوع يحدد مصادره ، و التي ليس بالضرورة أن تجدها في كتاب فمثلا عندما أردت الكتابة عن أسر الكاظمية قصدت الأمهات و الجدات) .
و هذا ما أكد أبو عبدالله نفسه أنه كان يعيش حياة نهارية في الغالب لتناسب جلسات الآباء الذين يتردد عليهم ، كالمرحوم الحاج محمد حسين القطان (بو إبراهيم) و الذي كان مستودعا للحياة الاجتماعية في

الأحساء .

حفظ مميز و بداهة نابهة :

أما خزانة محفوظاته الشعرية و سرعة استشهاداته فمثيرة للدهشة من ذلك أنه في زيارة له لجدة حضر اثنينية رجل الأعمال الأديب عبدالمقصود خوجة لاول و لاحظ أنه يمسك بعصا فبادأه بأكثر من عشرين شاهدا شعريا عن حمل العصا ! أثارت استغرابه فأهداه مجموعة إصدارات الاثنينية .

موقف طريف :

و لأنه صديق الكتاب فقد كان يشده علاقات واسعة بالكثير بالوراقين في كربلاء و بغداد و القاهرة و دمشق و بيروت .
من القصص التي حدثت له هو أنه حضر في كربلاء مزادا مع وراق صديق له و جاءت النوبة على المزايدة على كتاب (بغداد شذرات من ذكريات) فأسر للوراق أن :
نفلش لك المزاد ؟
فسأل الدلال : الورقات كذا و كذا موجودة لو منزوعة !؟
فأجاب الدلال : لا منزوعة ! فتفرق المشترون الذين كانوا يريدون مشاهدة تلك الصفحات المنزوعة .
و هذا يدل على سعة ذاكرته فيما تحويه الكتب .

في معارض الكتاب :
و عندما يزور معارض الكتاب كان يحرص على حضور الفعاليات المصاحبة ليلتقي بالكتاب و المثقفين و قال لي عدة مرات (هؤلاء هم الكتب التي تمشي ! إن جزء من فهمك للكتاب معرفتك بالكاتب ؛ و ربما تنصدم كثيرا بعدم مطابقة ما يكتب بحياة الكاتب او الشاعر و ما يكتب و أيضا هم يفتحون لك آفاقا في المعرفة و العلاقات !)

مع الشيخ صالح السلطان رحمه ا :

العلامة الشيخ صالح السلطان يعد رمزا من رموز الأصالة و التي تميل بشكل جاد للتمسك لحذافير ما كان عليه السلف من ظاهر الملبس حتى نخاع الاعتقاد ، لكن أبا عبدا اكتسب وده من خلال الشعر و الأدب و قفشات أبي عبدا التي ينتقيها و التي كانت في الغالب مرتبطة بقصص ووحكايا و مواقف طريفة ترطب

الأجواء .

مع شيخ المؤرخين :

بعد تقاعد أبي عبدا كان كثيرا ما يضمه في جلسات الضحى في مجلس شيخ المؤرخين و سعادة الدكتور محمد القريني و الخطيب الملا محمد صالح المطر و كانت هذه الجلسات الخاصة بما تحويه من عصارات فوائد و أحاديث ملذة نواة لانتظام جلسة الجمعة لشيخ المؤرخين خاصة مع تكاثر طلبات لقائه من قبل الباحثين و رجال المجتمع .

ذائقته الشعرية :

كان رحمه ا يميل للشعر العمودي الأصيل و يقول هو المحك و إن كان لا يحارب قصيدة التفعيلة أو الشعر الحديث عموما بل يتذوقها خاصة في كتابات روادها كمحمد العلي و نازك الملائكة و السياب و بلند الحيدري .

و مختاراته التي ينتخبها و يلقيها على أصدقائه و في محافلهم ، تنم عن ذائقة رفيعة ، خاصة أنه يميل لانتخاب شواهد من شعر شعراء لم ينصفوا و يؤخذوا مساحة كافية من الضوء كابن الحجاج ، و النامي ،و ابن ابي مليكة و من المعاصرين كمحمود أبو الوفا .

مع أصحاب النظرات السوداء .

كان رحمه ا يشير لصنف من الأدباء خارج الخليج يحملون نظرة ضيقة عن الخليج و أهله و كانهم جماعة من الأعراب سنحت لهم الخيرات في غفلة من القدر ! لذا كان يشير أنه إن صادف نوعا من هذا الصنف فإنه أتعمد إحراجه بل الاستعراض أمامه بما أدخر من أدب ليعرف (أن في الثياب رجاجيل ، و أن الأدب و الثقافة لا جنسية له ، بل إن كان للسليقة مهد فهي في الجزيرة العربية ، فهو وطن اللغة و رحمها التي خرجت منه)

مع الكتاب السعودي :

و في ذات السياق السابق فإنه في أغلب رحلاته كان يحمل معه آخر النتاجات المطبوعة في الأحساء خصوصا و في الوطن عموما سيما في الشعر و هو اهتمامه الأول ، ليقدمها في رحلاته كبطاقات تعريفية لأسماء كتابها و هذا نوع من الشعور بالمسؤولية تجاه الأدباء .

كما أنه يشير دائما و يقترح على الكتاب إيداع كتبهم للجامعات المحلية و العربية كمواد متاحة

للدارسين .

و هي لفتة مهمة .

اعتداده بآرائه :

و مع سماحته مع الجميع إلا أنه في سياق الأدب ناقد لازع ، فإن أعجبته قصيدة فهو يترنم بها و يشيد بها و إن لم تعجبه فهو جريء في نقدها و حتى في قول (قطها بحر) لذا كان ينتقد مجازفة بعض المبتدئين في النشر المبكر لنتاجاتهم قبل أن تقوى سواعد قوافيهم

اتصالي الأخير :

في آخر اتصال لي به قبل حوالي ست أيام من وفاته كلمني بعنفوان شديد و بشرني أنه في تحسن ملحوظ لمسته في نبرة صوته ، بخلاف صوته قبل اسبوع سابق حيث كان مثخنا بآلام المرض ، و قال لي (بعون ا عافيتني تبنى شيئا فشيئا) و لم أعؤف أنه كان الاتصال الاخير .